العرب
السبت 2019/07/13
السنة 42 العدد 11406

بورقيبة ثلاثة.. مدغشقر صفر

علي قاسم
كاتب سوري

الربيع العربي ترك الفوضى والخراب في كل بلد دخلها، ولكن هذا لم يحدث في تونس، البلد الذي شهد انطلاقة هذا الربيع.

لم تُسفكْ في تونس الدماء، ولم تهدم البنية التحتية، ولم تدمر المدن، ولم تشهد البلاد موجات نزوح وهجرة، ولم تنقطع الكهرباء والماء والغاز عن البيوت، ولم تشهد الأسواق انفلاتا في الأسعار، التضخم لم يكن خارج نطاق المستويات العالمية، والدينار التونسي، رغم تراجعه أمام الدولار واليورو، بقي نسبيا في نطاق المعقول.

انظروا حال الدول التي مر فيها أو على أطرافها الربيع العربي، لتكتشفوا أن هناك لغزا في الأمر. فما هو؟

ما حدث الخميس على أرضية إستاد السلام في مصر يفسر الأمر تماما. لم يتوقع أحد فوز المنتخب التونسي، الذي قدم مباريات باهتة وترشح إلى دور الثمانية في بطولة كأس الأمم الأفريقية بثلاثة تعادلات، أن يقصي منتخب مدغشقر بالثلاثة، وهو المنتخب الذي تمكن من هزيمة المنتخب النيجيري، وتنبأ له الجميع بالفوز.

الربيع العربي لم يهزم تونس، لنفس الأسباب التي أدت إلى فوز المنتخب التونسي وتأهله لدور المربع الذهبي؛ الشخصية التونسية.

في تونس، التي يردد فيها الجميع عبارة "نحن التوانسة"، يختلف الناس في ما بينهم، ويتكاسلون، لكنهم لا يساومون على ولائهم لتونس، وعلى كبريائهم، يهاجرون مضطرين، ليعودوا إلى تونس لاحقا، يبنون فيها منزلا، أو يقيمون مشروعا صغيرا.

عندما فشلت الحكومات المتعاقبة على تونس، بعد الثورة، في إدارة شؤون البلاد والعباد، لم يركن التونسيون إلى الفوضى، وكأني بهم يطبقون ميثاقا مكتوبا بينهم، على أن يحافظوا ويصونوا بلادهم، مهما جارت عليهم.

هذا الميثاق، رغم أنه غير مكتوب ولم يناقشه التونسيون في ما بينهم، هو ما وحد التونسيين، في الأيام العصيبة والسنوات العجاف، ورغم كل الانتقادات لم يصل الأمر إلى أن يقف التونسيون ضد مؤسساتهم العامة، الاقتصادية منها والأمنية.

التونسي يسمح لنفسه وللآخرين بتوجيه الانتقاد للسلبيات والنواقص، التي تعاني منها تلك المؤسسات، ولكن لا يسمح أبدا بالإساءة إليها.

الميثاق نفسه طبقه لاعبو المنتخب التونسي، عندما فشل المدرب والطاقم الفني في إدارة شؤون المنتخب، وفي الوقت الذي بدا فيه المدرب يائسا وخائفا وفاقدا الأمل، تلبست اللاعبين روح قتالية بطولية، وقرروا أنهم لن يهزموا، لأن هزيمتهم تعني هزيمة لتونس.

لم يجد المدرب ما يعمله بعد فوز المنتخب إلا أن يتجرع الماء بنهم ليستفيق من الصدمة. وصلته الرسالة: سنقوم نحن بالمهمة التي عجزت أنت عن القيام بها. نحن هنا لننتصر، وسننتصر. وخرج المنتخب منتصرا، وهزم المدرب.

نفس الرسالة وجهها الشارع التونسي للحكومات المتعاقبة.. تونس ستنتصر ولن تهزم.

ما من شك أن التاريخ التونسي، القديم والحديث والمعاصر، كما يقول الدكتور منصف وناس، قد أدى دورا مهما في تشكيل مضامين الشخصية التونسية، التي جمعت بين القرطاجيين والرومان والوندال والأندلسيين والأتراك والفرنسيين والإيطاليين والمالطيين، وهو ما أثر على نحت ملامحها، التي من أهمها الانفتاح والمرونة والقدرة على التكيف.

هناك عامل آخر، لا يوليه أهل الاختصاص اهتمامهم، لحداثته، هو فترة حكم الحبيب بورقيبة، التي ساهمت إلى حد كبير في تشكيل الشخصية التونسية، أحببنا ذلك أم كرهناه.

أي مدرب مبتدئ يعرف أن التهيئة الجسدية والمهارات الفردية لن تحقق النجاح، إن لم يرافقها استعداد نفسي للفوز مبني على الثقة بالنفس.

كان بورقيبة مدربا جيدا يعرف كيف يغرس الثقة في صفوف التونسيين.. وعندما فشل آلان جيريس، مدرب المنتخب، في تلك المهمة، استحضر اللاعبون إرث بورقيبة، فكانت الثقة بالنفس سلاحهم للفوز بالمباراة. تماما مثلما استحضر التونسيون نفس الإرث للحفاظ على مؤسسات الدولة وهيبتها.

تكذيب الجزائر لتصريحات باشاغا: حرج التصريح بحقيقة الموقف

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

هل كان وزير داخلية حكومة الوفاق الليبية فتحي باشاغا في حاجة إلى المزيد من الحرج حتى ينسب إلى مسؤولين جزائريين، منهم رئيس الوزراء نورالدين بدوي، تصريحات سرعان ما كذبوها عن طريق بيان لخارجية بلادهم؟ وهل أدرك الجزائريون حقيقة السلطات الخاضعة لأوامر الميليشيات في طرابلس ومصراتة وكيف أنه لا يمكن الوثوق بها، حيث أنها لا تعرف أن ليس كل ما يقال في السر ينقل إلى العلن، ولا كل من يُتداول في الصالونات ينشر عبر أبواق الإعلام؟

ليس جديدا أن الجزائر ترتاح لجماعة الإخوان أكثر من ارتياحها للمشير خليفة حفتر، وليس جديدا أنها تخشى أن يأتي زعيم قوي لليبيا يذكرها بتاريخ صراعاتها الخفية مع معمر القذافي وخاصة حول النفوذ في منطقة الساحل والصحراء، كما ترى أن حكما ضعيفا معزولا في طرابلس أفضل بالنسبة لها من ليبيا تحت نفوذ الجيش الوطني المتحالف مع مصر عبدالفتاح السيسي.

وما نقله باشاغا عن تشديد رئيس الوزراء الجزائري على ضرورة أن يتكلم رئيس الاتحاد الأفريقي عن الدول التي تزعزع الاستقرار في ليبيا ويسميها بأسمائها، وقوله إن المشير خليفة حفتر لا يمثل شيئا أمام قداسة وعظمة ليبيا وأهميتها إقليميا ودوليا، ودعوته الأمم المتحدة إلى إصدار بيان بشأن الظرف الحالي الذي تمر به ليبيا جراء ما سمي بمحاولة حفتر السيطرة على العاصمة طرابلس، كان جزءا من الحقيقة وليس الحقيقة كلها، لكن ليس للنشر على نطاق واسع، ففي مثل تلك اللقاءات من المفروض أن يتم الاكتفاء بإذاعة بيان رسمي تتم كتابته بالكثير من الحذر السياسي والانضباط الدبلوماسي.

لكن وزير داخلية الوفاق، كان يفكر بمنطلق قائد الميليشيا وأمير الحرب الباحث عن أي أداة ممكنة لرفع معنويات مسلحيه في محاور القتال، أو لكسر جدار العزلة الذي تواجهه حكومته إقليميا ودوليا، لذلك سارع بنقل كل ما قيل له أو أمامه في القاعة المغلقة، ما اضطر الخارجية الجزائرية إلى نشر بيان تفنيد.

كانت الجزائر قد احتضنت في 2015 أولى جلسات الحوار الليبي الهادفة إلى إعادة تدوير الإسلام السياسي بعد هزيمته في انتخابات 2014 البرلمانية وانقلابه على النتائج من خلال منظومة فجر ليبيا، لينتقل الحوار بعد ذلك إلى الصخيرات بالمغرب، ونتجت عنه تلك المخرجات الكارثية التي تشكل بموجبها المجلس الرئاسي وحكومة الوفاق غير الدستورية وفق أحكام القضاء، وغير المعتمدة من قبل مجلس النواب المنتخب.

واستقبلت الجزائر أغلب رموز الإسلاميين الليبيين وارتبطت معهم بعلاقات كان للنظامين القطري والتركي دور مهم في توطيدها، لكن الدور الأبرز يعود لإسلاميي تونس الذين تعرفهم الجزائر معرفة جيدة وخاصة منذ ثمانينات القرن الماضي، حتى أنها كانت إحدى الجهات التي دفعت إلى لقاء باريس في صيف 2013 بين الباجي قائد السبسي وراشد الغنوشي لعقد صفقة تقاسم السلطة بينهما، ولم يتردد إخوان تونس في فتح المجال أمام نظرائهم الليبيين للتقارب مع السلطات الجزائرية، تحت زعم العمل على تقليص الدور المصري في المنطقة.

وتعوّد إسلاميو تونس وليبيا اعتماد فزاعة الخوف مما يسمونه حكم العسكر في ليبيا، وقد صدّق الجزائريون ذلك ليس خوفا من عسكرة الدولة ولكن خشية انقلاب موازين القوى في المنطقة، وانطلاقا من فكرة الجزائر الكبرى التي لن تقبل بأي قوة أخرى تنافسها، والتي تعتبر أن غرب ليبيا هو فضاؤها الحيوي الذي ترفض أن يقع تحت سيطرة الجيش الوطني المتحالف مع القاهرة، لذلك كان لها دور مهم في ترتيب الأوضاع في منطقة الجنوب الغربي وخاصة من خلال التقريب بين علي كنة القيادي العسكري التارقي المحسوب على النظام السابق، والمجلس الرئاسي، ليمضي فايز السراج على قرار تعيين كنة آمرا للمنطقة العسكرية سبها، بقصد عرقلة تحركات القوات المسلحة الليبية في المناطق الحدودية المتاخمة للجزائر، وعندما أطلق الجيش الوطني الليبي عملية "طوفان الكرامة" لتأمين العاصمة طرابلس في الرابع من أبريل الماضي، شعر الجانب الجزائري أن المشير حفتر خطا هذه الخطوة من باب استغلال الأوضاع الطارئة في الجزائر نتيجة الحراك الشعبي ضد العهدة الخامسة للرئيس عبدالعزيز بوتفليقة، الأمر الذي جعل وزير الخارجية الجزائري صبري بوقادوم، يصرح في أبريل الماضي، أن بلاده لا تقبل بقصف عاصمة في دولة من المغرب العربي، وقال خلال مؤتمر صحافي مشترك مع نظيره التونسي خميس الجهيناوي "لا نقبل أن يتم قصف عاصمة في دولة من المغرب العربي ونحن صامتون"، وهو ما جعل وزارة خارجية الحكومة الليبية المؤقتة المنبثقة عن مجلس النواب المنتخب ترد بالقول إن "ما يحصل شأن داخلي ليبي يخص ليبيا والليبيين ولن نسمح لأي طرف كان بالتدخل في شؤوننا الداخلية"، وأن "ما يحصل هو معركة لاستعادة الدولة الليبية وإعادة الأمن والاستقرار وإنهاء فوضى السلاح والميليشيات والإرهابيين والمجموعات المطلوبة دوليا من العناصر الأجنبية".

> في الوقت الذي تدعم فيه مصر القيادة العامة للجيش الليبي، تبدي الجزائر وتونس تعاطفا مع ميليشيات غرب ليبيا تحت شعارات الدعوة إلى الحوار مع المجلس الرئاسي الخاضع لسلطة الإسلام السياسي المرتبط بعلاقات قوية مع حلفاء فاعلين في الجزائر وتونس

ومما لا شك فيه أن موقف الجزائر الداعم لحكم الميليشيات في طرابلس وارتباط موقف تونس به، ساهم في إفشال أي مساهمة فعلية من دول الجوار في الدفع نحو الحل الذي اقتنعت الدول الكبرى بأنه لن يتحقق إلا في ظل بسط القوات المسلحة نفوذها على كامل أرجاء البلاد، وكذلك في تحويل الاجتماعات الثلاثية مع مصر، إلى مجرد مناسبة لتبادل المجاملات المنافية لواقع الخلاف الجدي بين الدول الثلاث حول الموقف مما يدور في ليبيا.

ففي الوقت الذي تدعم فيه مصر بكل قوة القيادة العامة للجيش، تبدي الجزائر وتونس تعاطفا مع ميليشيات غرب ليبيا تحت شعارات الدعوة إلى الحوار مع المجلس الرئاسي الخاضع لسلطة الإسلام السياسي المرتبط بعلاقات قوية مع حلفاء فاعلين في الجزائر وتونس.

ما نقله فتحي باشاغا وزير داخلية الوفاق عن رئيس وزراء الجزائر كان جانبا من موقف الدولة الجارة، ولكن إخراجه للعلن أحرج الطرفين ما جعل الخارجية الجزائرية تفنده عن مضض، لأن التصريح به في هذا الوقت بالذات ليس من الحكمة في شيء، والسياسي الحكيم يجب أن ينظر بالكثير من التروي لما يدور في الحاضر وما قد ينتج عليه في المستقبل، خصوصا وأن الجيش الليبي لن يتراجع عن مهمته، ومعه الأغلبية الساحقة من الشعب الذي ذاق الويلات خلال السنوات الثماني الماضية.

السودان.. أزمة ترجمة

بهاء العوام
صحافي سوري

الخطأ في فحوى دعوة وسائل الإعلام للتوقيع بالأحرف الأولى على اتفاق تقاسم السلطة في السودان يبدو أنه مقصود. يبدو أن الاتفاق يحتاج إلى قراءة متأنية بعد أن ظهرت إشكاليات في ترجمة نصه من الإنكليزية إلى العربية، فتحولت المصطلحات إلى ألغام لا بد من إزالتها قبل التوقيع.

العلاقة بين المجلس السيادي وحكومة الكفاءات هو إحدى هذه الإشكاليات. فثمة فرق بين الاعتماد والمصادقة لضبط علاقة المجلس مع الحكومة. إما أن يختارها المجلس، وإما أن يُصادق على تشكيلتها بشكل صوري.

أزمة المصطلحات تظهر مرة أخرى عند الحديث عن حكومة كفاءات مستقلة، أو حكومة كفاءات فقط. فالربط بين الكفاءة والاستقلال ليس محبذا بالنسبة لقوى الحرية والتغيير التي يبدو أن تشكيلتها الوزارية معدة مسبقا. مشكلة الترجمة في السودان لا تقتصر على اتفاق تقاسم السلطة، بل تطال تطلعات السودانيين لإنهاء عقود من حكم شمولي هدم البلاد بشرا واقتصادا.

من الخطأ ترجمة الثورة الشعبية إلى طرد الجيش من إدارة البلاد لأن عمر البشير وطغمته الفاسدة كانوا ينتمون إليه. لا يمكن تجاهل دور الجيش في مرحلة انتقالية لدولة مثل السودان بكل تجاذباتها السياسية والعرقية.

لا يبدو إقصاء أي قوة سياسية أو مسلحة من صفوف المعارضة ترجمة صادقة للثورة أيضا. ليس المعارضون هم فقط من كانوا في سجون البشير، وليست أحزاب اليسار هي فقط من يجيد المطالبة بحقوق الشعب.

غالبية كبيرة من أبناء الأرياف والولايات شاركت في الاحتجاجات ضد البشير، وربما كانت قوامها الأساسي، لكنها لم تمثل بشكل كاف في قوى الحرية والتغيير. ثمة أيضا جماعات مسلحة حاربت البشير بوصفه طاغية وليس بغرض الانفصال، هي الأخرى تستحق أن تؤخذ بعين الاعتبار خلال رسم مستقبل السودان.

الشارع السوداني سمح لقوى الحرية والتغيير بأن تتصدر المشهد، لأنه لا يريد استبدال طاغية بطاغية ولا يريد للإسلام السياسي أن يقطف ثمار ثورته، ولكن هذا التفويض الشعبي، قد ينتهي في أي لحظة يشعر فيها الشارع أن هذه القوى لم تكن على قدر المسؤولية.

السودان ليس فقط الخرطوم، وقادة السودانيين ليسوا فقط أولئك الذين ينعمون بالمال ويمارسون السياسة كلعبة الغولف. ثمة تنوع كبير في ذلك البلد الكبير، والعبرة من انفصال الجنوب في عهد حكم لم يراع الاختلاف والتنوع والتعدد في البلاد يجب أن تكون حاضرة بقوة في هذه المرحلة.

لا يرغب السودانيون باستمرار حكم الجيش إلى الأبد، ولكن المرحلة الانتقالية تحتاج إلى تعقل وحكمة في التعامل مع كافة القضايا واحتواء كل أطياف الشعب، لذلك لا بد أن يتسع صدر الجيش وقوى الحرية والتغيير للجميع، ولا بد للطرفين من ترجمة أمينة لتطلعات الشعب الذي لن يتردد في اللجوء إلى الشارع مرة أخرى، إذا قرأ بين سطور الاتفاقيات والقوانين ما يغالط رؤيته لسودان حلم به كثيرا وبذل من أجله كل غال ونفيس.